حمد بن جمعة المرجبي (تيبوتيب) فاتح الكونغو

محمد عباس حميد الخفاجي / مدرس مساعد / مديرية تربية بابل
Hamad bin Juma Al-Marjabi (Tippu Tip) Fatih Congo
Mohammed Abbas Hameed / Babylon Education Directorate
Mohamadabass064@gmail.com
07715836492

Summary

Through reading history books, we learned that the countries are the ones that conquer, take charge of the forces and mobilize the soldiers, and prepare the tools of war, but with Hamad bin Juma Al-Marjabi (Tipo Tip), the Omani Arab merchant whose fame approached the myth that went and penetrated the borders of continents, languages and cultures, the matter is different Because he is a man who, in a short time, switched from selling salt to conquest and conquest, with a large army of his slaves, spending on him with his money, and providing him with a weapon he prepared, he stormed the countries of the Congo on his behalf, He thus established a state in a country other than the one to which he belonged, explaining life by dominance, war and the philosophy of history by force and sword. He was one of those who served the issues of Arabism and Islam in the African continent. The European colonial powers rushed to rob him of his authority after they were captivated by his personality and leadership. And they are the primary beneficiaries of it in identifying the unknowns of Africa and studying them scientific study first, Then achieving their colonial goals, and establishing the Belgian presence in the heart of the African continent, or what will be called later the Free Congo State, which belongs to the Belgian King II.

Key word / Tippu Tip, Congo, Oman

الملخص

تعلمنا من خلال قراءة كتب التاريخ أن الدول هي التي تقوم بالفتوحات وتتكفل بالمصروفات وتحشد الجند، وتعد أدوات الحرب، لكن مع حمد بن جمعة المرجبي (تيبو تيب) التاجر العربي العماني الذي اقتربت شهرته من الأسطورة التي سارت واخترقت سيرتها حدود القارات واللغات والثقافات، الأمر يختلف لأنه رجل تحول في زمن قصير من بيع الملح إلي الغزو والفتح، بجيش كبيرا من عبيده، منفقاً عليه من ماله، وزوده بسلاح أعده، اقتحم بلاد الكونغو لحسابه، واستولي علي أرض واسعة صارت أرضه، وشاد دولة علي مسرح افريقيا هو سلطانها، وهو بذلك أقام دولة في غير الدولة التي ينتمي إليها مفسراً الحياة بالغلبة والحرب وفلسف التاريخ بالقوة والسيف. فكان واحد من الذين خدموا قضايا العروبة والاسلام في القارة الافريقية. فتكالبت علية قوى الاستعمار الاوربي لتسلبه سلطانه بعد ان كانوا مأسورين بشخصيته وقيادته. وهم المستفيد الأول منه في التعرف على مجاهل أفريقيا ودراستها دراسة علمية أولا، ثم تحقيق مآربهم الاستعمارية، وتأسيس الوجود البلجيكي في قلب القارة الأفريقية أو لما سيسمى فيما بعد دولة الكونغو الحرة والتابعة للملك البلجيكي ثانيا.

كلمات دالة /تيبوتيب ،الكونغو ،عمان

المقدمة

تكشف هذه الدراسة عن الدور البارز والمؤثر الذي لعبه التاجر العماني حمد بن جمعة المرجبي (تيبو تيب) في الحياة الاجتماعية والتجارية والسياسية بوسط القارة الأفريقية، كما تحاول تتبع الطرق والمسالك التي سلكها داخل القارة الافريقية، والوسائل والسبل التي استخدمها في عملية الانتشار تلك، والتي سمحت له بإقامة علاقات تجارية مع القبائل الافريقية، وتبيان العوامل التي ساعدة على بسط نفوذة على اجزاء كبيرة وسط افريقيا. وتؤرخ لجانب من التلاقح الحضاري الذي ثابر العُمانيون الأوائل على تجذيره

في صور شتى خلال وجودهم في شرق أفريقيا، كما وتسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على دور الغرب الاوربي وأثره في تغير الأوضاع بشرق وداخل افريقيا، حيث كانت القوى الاستعمارية الغربية تبذل جهداً لفرض هيمنتها وحماية مصالحها للانفراد بخيرات تلك البلاد. وتكمن اهمية الموضوع في ان حمد المرجبي (تيبو تيب) واحد من الذين خدموا قضايا العروبة والاسلام في القارة الافريقية، ولم تحفل كتبنا وأوراقنا الا معلوماتنا قليلة وشحيحة عنه، رغم انه يمثل مرحلة هامة في تاريخ الوجود العربي العماني في القارة الافريقية التي كانت مسرح للصراع الاوربي. وتكشف عن الدور الريادي الذي قام به حمد المرجبي (تيبو تيب) أثناء محاولات المستكشفين الأوروبيين وصراعهم على بوابات النفوذ في أفريقيا حين أضحى، في فترة الكشوفات الجغرافية، زعيماً يُحسب له ألف حساب

تمهيد

تعود علاقة العرب بشرق افريقيا الى عصور موغلة في القدم، استمرارها ارتبط باستمرار العلاقات التجارية بينها وبين المنطقة العربية، والتي نتج عنها استقرار عناصر عربية في المنطقة الممتدة من رأس جردفان شمالاً الى خليج دلجادو جنوباً، اي المنطقة التي تشمل الصومال حتى موزنبيق، وسماها العرب زنجبار او بساحل الزنج واقاموا فيها مراكز تجارية ودولاً وامارات محلية ساهمت في التواصل والتقارب بين العرب وسكان ساحل شرق افريقيا. وكان لاستقرار العرب بين شرق افريقيا ومصاهرتهم للأفارقة وراء ظهور عنصر خليط من السكان او السواحلية، كما كان وراء تأثير اللغة العربية في المنطقة، وظهور اللغة السواحلية[1].

وخلال حقبة النصف الأول من القرن التاسع عشر انجذب التجار العرب العُمانيين للتحرك نحو الداخل الأفريقي بعدما كانوا مستقرين فقط على الساحل الشرق لأفريقيا، وبدأت المحاولات الأولى للوصول إلى قلب القارة الأفريقية عام 1824 م، في حين أنه لم تتخذ تلك الهجرة شكلاً منضبطاً ومنظماً إلا في أواسط القرن التاسع عشر، وهي فترة استقرار السلطان سعيد بن سلطان في زنجبار[2]، مما ساعد على التوغل في العمق الأفريقي[3]. وبذلك يُعد العُمانيون أول شعب عربي مسلم جاس خلال القارة الأفريقية، وترسخت مكانتهم ودورهم في إنشاء المدن الإسلامية [4]. وخطوط منتظمة من القوافل التجارية التي تصل بين الساحل والداخل، كما أنهم أسسوا على طول طرق القوافل مراكز تجارية نمت وازدهرت وغدت من الوسائل الهامة التي أعتمد عليها العرب في نشر نفوذهم في الكونغوا وشرق افريقيا[5].

---

[1] – بيان سعود تركي، العرب العمانيون وتجارة العاج في شرق إفريقيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (1840–1890)، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد 120، جامعة الكويت،2012. ص3.

[2] – السلطان سعيد بن الامام احمد ولد عام 1776 في بلد سمايل من عمان وتولى الحكم عام 1791م،وعام 1832م نقل عاصمة حكمة من مسقط الى زنجبار وإقام هناك وشرعَ في تكوين إمبراطورية عمانية في شرق افريقيا. وتوفى عام 1856م، في البحر عند عودته من عمان الى زنجبار التي اختارها وطناً له. انظر: سـعيد بن علي المغيري، جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصـليبي، ط4،د.ن، 2001، ص 233، 253. جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي 1507– 1840، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985.ص211.

[3] – موسى البوسعيدي، التأثير العُماني في دول وسط أفريقيا، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عُمان، العدد 58/57، مسقط، 2017. ص348.

[4] – سعيد بن علي المغيري، المصدر السابق، ص 247

[5] – جمال زكريا قاسم ، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، القاهرة، ١٩٧٥، ص 233.

وفي عام 1845م أسس التجار العرب مركزا تجاريا هاما في تابورا Tabora ، وفي أوجيجي Ujiji، ثم عبروا بحيرة تنجانيقا وبدأوا سيطرة اقتصادية على منطقة البحيرات الاستوائية معتمدين على القبائل الافريقية في نقل العاج[6] الى الساحل[7]. حيث كانت تجارة العاج الذي يتم جمعه من المناطق الداخلية التي تكثر فيها الفيلة ويحمله العبيد إلى المدن التجارية الساحلية ليتم تصديره من موانئها إلى مختلف مناطق العالم أهم نشاط تجاري تتم ممارسته في تلك الفترة [8].

و كان تيبوتيب واحد من اشهر التجار العرب العمانيين المغامرون في شرق افريقيا الذين يسعى الى العاج بالداخل، يحدوه الامل في الحصول عليه مباشرة دون التعامل مع القبائل الافريقية بشكل يحقق له مكاسب مالية وفيرة رغم المخاطر الكبيرة التي تترتب على توغله داخل القارة [9].

اسرة حمد المرجبي (تيبوتيب)

هو حمد بن محمد بن جمعة بن رجب بن سعيد المرجبي من قبيلة المراجبة النبهانية وهم من عرب الجزيرة العربية التي هاجر البعض منهم الى سواحل شرق افريقيا[10]، وأسهمت بشكل فاعل في توطيد نفوذ اليعاربة في تلك المنطقة بعد استعانتهم بهم للوقوف بوجه المحاولات البرتغالية في السيطرة على شرق أفريقيا خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر، ومنطقة استقرار هذه القبيلة في مواماجي جنوب مدينة دار السلام الحالية[11].

هاجر جده جمعة المرجبي عمان في مطلع القرن التاسع عشر مستقراً في بلدة مبواماجي وتزوج وعمل في التجارة وحقق ارباح وثروة عاد بها الى عُمان، ومن ثم وبعد فترة غير معلومة قرر العودة الى افريقيا مصطحباً معه ابنه محمد مستأنفاً نشاطه التجاري من جديد، فتوغل في داخل القارة الأفريقية رغم المخاطر والصعوبات مظهراً شجاعة فائقة، فأصبح له نفوذ على مساحة شاسعة من الاراضي في البر الافريقي، ممهد الطريق لأبنه محمد الذي كان يصحبه في تلك الاسفار[12].

والده محمد تزوج من ابنة احد وجهاء زنجبار وانجبت له ثلاث بنات وصبي واحد هو حمد، لكن محمد لم يستقر في زنجبار، بعد ان رأى نفسه عاجزاً عن كسب القوت لأسرته الصغيرة، فودعها وذكر أنه سيعود الى بيته بالرزق الكثير، لكنه ذهب ولم يعد إلى هذه الأسرة وكان من الذين سحروا بداخل افريقيا، فتوغل للتجارة وفي مدينة تابورا التي كانت مركزا تجاريا مهما[13]، وتقع في مفارق طرق، تزوج من كاروند Kaarund ابنة السلطان فوندي كيرا Fondikeer الذي كان من اقوى حكام النياموزي، وبعد فترة قصير توفيت فتزوج من اختها ناسو Nassu فعزز بذلك مكانته الاجتماعية والاقتصادية في ارض النياموزي وسط افريقيا، نظراً لان مناطق شاسعة من الداخل الأفريقي كانت خاضعة لفوندي كير. فأعتمد سلاطين زنجبار عليه في تأكيد نفوذهم على الداخل[14]

---

[6] – تعتبر قارة افريقيا واحدة من المناطق التي تكثر فيها الفيلة، التي تعد مصـــدراً مهماً للعاج الذي توفره أنيابها. والعاج تكون صـــلب يكون الجزء الاساسي من انياب الفيلة، وندرة العاج تجعله من المواد الثمينة لاسيما بعد تعدد استخداماته، وبخاصة في صناعة التحف وادوات الزينة ومقابض السيوف والخناجر، وبعض الحرف اليدوية غالية الثمن.انظر : بيان سعود تركي، المصدر السابق، ص4.

[7] – جمال زكريا قاسم ، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، المصدر السابق، ص 233.

[8] – عدنان مراد، المجتمعات الافريقية أصولها – تاريخها وشعوبه وثقافتها، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٤٣١

[9] – بيان سعود تركي، المصدر السابق، ص 7،15.

[10] – جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، ط3، مطبعة الهلال، مصر، ص167

[11] – جمال زكريا قاسم ، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، المصدر السابق، ص ٢٤١.

[12] – ناصر بن عبد الله الريامي، زنجبار شخصيات واحداث(1828–1972)، ط2، مكتبة بيروت ، القاهرة، 2009، ص 136، 138.

[13] – تابورا: كانت هذه البلدة محط رحال التجار في إفريقية الشـــرقية، ومنها تتشـــعب الطرق الى زنجبار شـــرقاً، وبحيرة انيانزا وبلاد أوغندا شمالاً، وبحيرة تنجانيقا وبلاد الوجيجي غرباً، وبلاد أورورى جنوباً. انظر:: سعيد بن علي المغيري، المصدر السابق، ص313.

[14] – ناصر بن عبد الله الريامي، المصدر السابق ص 136 ،138 .

ولادته ونشأته

حمد هو الابن الأكبر لمحمد المرجبي من زوجته الأولى ابنة التاجر حبيب بن بشير وقد ولد في قرية تسمى كوارارا Kawarar عام 1840م. وعرف بثلاث ألقاب باللغة السواحلية أطلقها عليه الأفارقة اشهرها تيبو تيب Tippu Tip وهو محاكاة صوتية لصوت البندقية حين اطلاقها أو لرفة في عينه ، وكينجوجوا Kingugwa ومعناه الضبع الأرقش، ومكانجوانزارا Mkangwanzara ومعناه الذي لا يخاف أحد، ربما يخاف المجاعة ولكن لا يخشى الحرب[15]. وبما ان لقب تيبوتيب هو الاشهر استخدمناه خلال البحث.

نشأ تيبو تيب في زنجبار في بيئة بدائية عاطلة من مظاهر التمدن، وبالرغم من ذلك عندما بلغ السادسة من العمر سلم الى معلم ليبصره بدينة ويلقنه مبادئ القراءة والكتابة العربية والحساب، وقد واجه صعوبات في التعليم لأنه كان كثير الحركة غير ميال للسكون منذ نشأته المبكرة لكنه انهى الفترة المحددة للتعليم واصبح شخص متعلما وبرز بين اقرانه[16].

رحلته في عالم التجارة

بدأ تيبوتيب صراع مع الحياة وهو لا يزال فتى يافعاً، بعد ان ألفي نفسه وحيدا عندما رحل والده من زنجبار وضرب في اعماق القارة الافريقية بحثاً عن الرزق، فشجعه ذلك على الخروج على اثر والده بعد أن طالت به المدة سعيا لطلب الرزق، ووجد من يؤازره ويعضده ويقرضه مبلغ من المال مقداره اثني عشر ريالاً اشترى به ملحاً لبيعه في القرى المجاورة في دار السلام مع بعض أقاربه. وكان في هذه المرحلة يكتفي بالرحلات القصيرة ذات التكلفة المادية البسيطة. فتكونت لديه خبرة، بدأ يتوسع في تجارته متوغلاً في داخل القارة بحثاً عن والده، وأخذت تجارته تزدهر تدريجياً ونضج في معاملته مع التجار الذين اقرضوه المال وتعززت ثقتهم به، فتوسع بمجالات تجارته لتشمل السندرروس[17] والثياب والاقمشة والمأكولات والكاتشوك وغيرها الكثير، واستفاد تيبوتيب من تلك التجارة في تكوين ثروة استطاع من خلالها استمكان المناطق المجهولة وتعرفه علي الطرق والمسالك وتفهمه لنفوس الزنوج، واشترى عبيد لحمايته اثناء تنقله بتجارته من اللصوص [18].

وبعدما صار تيبوتيب تاجرا في الساحل، وعلم ان والده استقر به المقام في بلدة تابورا عقد العزم على اللاحق به، وبعد مسيرة شاقة استغرقت اكثر من ثمانون يوم وصل تابورا في حدود عام 1850م وكان عمرة ثمانية عشر عاماً، التقى والده وبدأ العمل معه في التجارة. فعهد اليه والده قيادة احدى قوافله التجارية المحملة بالخرز والاساور والاقمشة للوصول بها الى اوررا المطلة على الضفة الغربية لبحيرة تنجانيقا تحت أمرة رجل من ساحل مريما Mrima يسمى مونيني بكار بن مصطفى. فرفض بشدة رغم صغر سنة وقلة خبرته مفضلاً العودة الى زنجبار على ان يكون في وضع التابع، وفي ذلك ما يدل على ان لديه نزعة القيادة وروح المغامرة. فاثبت جدارة فائقة في اختراق المسالك الوعرة وذكاء متميز في التعامل مع فئة التجار والقبائل الافريقية وبالفعل عاد بعد مدة وجيزة بكميات كبيرة من العاج [19].حيث كانت اغلب العمليات التجارية تتم عن طريق مبادلة العاج بالخرز والاساور والاقمشة وغيرها من المواد التي يحمله التجار العمانيون في داخل افريقيا.

---

[15] – محمد المحروقي، مغامر عماني في أدغال أفريقيا، ط2، منشورات الجمل، بغداد، 2006، ص16،17.

[16] – يواقيم رزق ، حميد بن محمد المرجبي (تيبو تيب) والوجود العربي في الكونغو، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 1975،ص33.

[17] – السندروس : صمغ شجر أو معدن سبيه بالكهرباء، يجلب من نواحي أرمينية. انظر: محمد المحروقي، المصدر السابق ص33.

[18] – يواقيم رزق ، المصدر السابق، ص33.

[19] – ناصر بن سليمان اللمكي، اشهر الحوادث واعظم الرجال حمد بن محمد بن جمعة المرجبي، مجلة الهلال المصرية ، 1906. ص580.

وعندما كان في تابورا نشبت حرب بين السلطان فوندي كيرا صهر والده وسلطان زنجي آخر فانحاز تيبوتيب إلي السلطان فوندي كيرا، وجمع مماليكه وعددا من الزنوج وحارب السلطان الآخر وهزمه واستباح أرضه وملكها واستولي علي خيراتها وأهمها العاج، فأستحوذ تيبوتيب على اعجاب صهر والده السلطان فوندا كيرا بعد بلاءه الحسن في القتال ، فأتاح هذا الموقف لتيبو تيب ان يكون الزعيم الذي لا يقهر فتحدى القبائل الافريقية التي تناوئ الوجود العربي في ارض النياموزي والكونغو[20]، كقبائل الشينسي في جنوب شرق بحيرة تنجانيقا. وصار مطاعا مسموع الكلمة في تلك البلاد وقوي نفوذه، ووثق في نفسه وتفتحت في قلبه الحياة، وهذه الحادثة مهمة في سيرته لأنها تكشف عن قدراته القتالية، وتظهر نزوعه إلي التملك والسيادة [21].

ويقول عنه سيدني لانجفورد هايند " انه وعلى الرغم من العنصر الزنجي القوي الذي يجري في عروقه، فإن تيبوتيب في مجمل تكوين صفاته العقلية هو عربي جوهريا؛ ومن هذا الجانب من تحدره تنبع تلك الارادة التي لا تقهر" وتجد بلا شك جذورها فيه والتي رفعته من تاجر زنجباري الى موقع حاكم بلاد مترامية الأطراف[22].

ويضيف سيدني لانجفورد هايند " ان تيبوتيب لم يكن من صيادي العبيد والعاج الذين فشلوا في تحقيق الثروة أو اخذوا بسحر الحياة البدائية فظل في الداخل الافريقي، وانما من الزعماء العرب الذين ساهموا تكوين خطوط التجارة والمراكز العربية في داخل مجاهل افريقيا[23]".

اختطَ تيبوتيب وفي عمر مبكر طريقاً مستقلا لنفسه. فأستطاع أن يجمع مئات المقاتلين من الرجال، الامر الذي مكنه من التوغل في قلب أفريقيا للبحث عن العاج والعبيد. وبعد ان حقق العديد من الانتصارات عاد الى والده فأخذ ما كان معه من العاج. عاداً به الى زنجبار نحو عام 1857م، وكان السلطان سعيد قد مات، فحظي بلقاء السلطان ماجد بن سعيد بن سلطان[24] وقضي بعض الوقت وباع العاج واوفى ما عليه من ديون واخذ في تجهيز ما يحتاجه من بضاعة عائدا الى أفريقيا ثانية على رأس قوى مسلحة كبيرة من الاتباع[25].

وفي اثناء العودة هجم عليه اللصوص فدافع هو ورجاله عن تجارته قدر استطاعته، ولكن قطاع الطريق نهبوا كماً من تجارته، كما أن وباء الطاعون قتل عدة مئات من عبيده، لكنه لم ييأس وأخذ يتاجر في ما تبقي معه، ثم اتجه إلي المنطقة التي كان قد هيمن عليها وامتلكها، فألفي السلطان الزنجي استولي عليها فحارب لاستعادتها ولكنه فشل، ففر إلي تابورا حيث أقام فترة وكان في نيته التوجه إلي الكونغو ولكن نقص عدد الرجال وقلة العتاد الحربي والمؤن اثنت عزيمته. فعاد مرة أخري إلي السلطان الزنجي وكر عليه فوجده في موضع حصين يغذيه جدول بالمياه فحاصره عدة أشهر وأمر عبيده بحفر قناة واسعة، وحول إليها ماء الجدول

---

[20] – تقع الكونغو وسط افريقيا بين خطي عرض 5 شمالاً 13 جنوب دائرة خط الاستواء بمسافة تقرب 2000 كلم، يحدها من الشرق أوغندا وتنزانيا وروندا وبروندي، ومن الغرب الكونغو برازافيل ومن الشمال جمهورية افريقيا الوسطى والسودان ومن جنوبها الغربي أنجولا، ومن الجنوب والجنوب الشرقي زامبيا، ويشكل حوض الكونغو معظم أراضيها. انظر : كريمة مزوزية ، زينب علاوة، المسألة الكونغولية في قرارات مؤتمر برلين الثاني(1884– 1885م)، رسالة ماجستير منشورة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة العربي التبسي ، الجزائر، 2017،ص9.

[21] – جرجي زيدان، المصدر السابق، ص169،170.

[22] – سيدني لانجفورد هايند، سقوط عرب الكونغو، ترجمة: احمد العبيدلي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، ابو ظبي، 2010، ص14.

[23] – سيدني لانجفورد هايند، المصدر السابق، ص11.

[24] – السيد ماجد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، تولى الحكم عام 1856م وتوفى عام 1870م وعمرة 37 عام، ودفن في القبة التي دفن فيها ابوه السيد سعيد بن سلطان، سارة سيرة ابية في الرعية فعاملهم بالين والرأفة واقتصد في انفاق الحكومة. انظر : سعيد بن علي المغيري، المصدر السابق، ص191

[25] – جرجي زيدان، المصدر السابق، ص169،170.

فاستسلم السلطان الزنجي وتملك تيبوتيب المنطقة مرة أخري[26]. وكان هذا الانتصار دليل اخر علي شجاعة تيبو تيب وقوة إرادته، وظهور قدراته المتنوعة علي هزيمة عدوه لا بالقوة والبأس فحسب بل وبالصبر والحيلة.

قام تيبوتيب بهدف الاتجار بالعاج والخرز والشبّه والمحاصيل والعبيد الذي كانوا يوفرهم كعمالة مدفوعة الاجر للشركات الأوربية المشتغلة بأنشاء البنى الاساسية في القارة الافريقية ويؤمن الحماية للمستكشفين والمنصّرين الاوربيين[27]، بتنقلات تجارية متقاربة في الوسط الأفريقي أو إلى الساحل الشرقي. وأبرز رحلاته هي الأولى التي سبق ان ذكرناها عام 1850م، وكان استقراره بمدينة تابوره، والتقى فيها بوالده. الذي تزوّج من ابنة زعيم قبيلة الأنياميزي، وفي رحلته الثانية عام 1862 م صار فيها لتيبو تيب نشاط تجاري ونفوذ واسع في المدن المجاورة[28]، حيث ضمت هذه الرحلة أربعة آلاف من العبيد اتجه بها إلى الكونغو واوجيجي مروراً بالأراضي الواقعة تحت سيطرة الزعيم الافريقي ميسيري Misery في منطقة كتنغا Katanga ، والذي رأى فيه تيبوتيب انه رجلاً متعجرف يعتدي على الناس دون مبرر وعليه تأديبه، فحاربه تيبوتيب وانتصر عليه بعد ان تشتت اتباعه بين قتيل واسير، فبعث له ميسيري بعض من رجاله طالباً الامان، فضمن له تيبو تيب ذلك واتفق معه على التعاون التجاري لغرض تسهيل مهمة مرور القوافل التجارية في المناطق الخاضعة له فضلاً عن قيامه بجمع العاج لمصلحة تيبو تيب بالمقابل يقوم تيبو تيب بمبادلة ما يتم جمعه من العاج بالخرز والملابس وبعض المواد الأخرى[29].

وفي رحلته الثالثة عام 1867 م أحرز تيبو تيب تقدماً في التجارة وفي التوغل في العمق الأفريقي مع رفاقه العرب العُمانيين، لا سيما في المناطق الواقعة بين جنوب بحيرة تنجانيقا وبحيرة ميروي، وضمها إلى منطقة سيطرته وأملاكه وفرض نوع من الهيمنة السياسية عليها ، ثم بقي يمارس نشاطه التجاري في مدينة يوجيجي وتابوره، حتى استطاع جمع ثروة طائلة من العتاد والمال والجاه، مهّدت له الطريق للتحرك إلى الكونغو [30].

وخلال هذه الفترة صادف رجال تيبوتيب ديفيد لفنجستون David Livingstone[31]، وكان هو عشرة من السكان المحليين مشرفين على الهلاك فساعدة تيبوتيب وأعطاه أدلاء يرشدونه إلى بحيرة مويرو، كذلك طلب لفنجستون ادلاء لزيارة راوندا ، اعطاه تيبوتيب الادلاء واوصلوه الى هدفه بكل احترام وتقدير، ولم يكتفي لفنجستون بذلك بل طلب أدلاء آخرين ليبلغ أماكن أخرى، فساعدة تيبوتيب ايضاً[32].

دورة في تثبيت الوجود العربي والاسلامي في وسط افريقيا

ومع تزايد قوة تيبوتيب تمكن من توسيع غاراته والتوغل في مناطق كانت غير مكتشفة وبالتالي فتح آفاقاً جديدة للعاج. يدفعه لذلك حبه للثراء والمغامرة ، فكان اكثر طموحاً من بين أقرانه تجارة العاج والعبيد؛ على الرغم من ان السياسة التي تبناها بشكل عام

---

[26] – نفس المصدر

[27] – وزارة التراث والثقافة، الموسوعة العمانية، المجلد الثالث، مسقط، 2013. ص 1152

[28] – يواقيم رزق، المصدر السابق، ص 225.

[29] – محمد المحروقي، المصدر السابق، ص 83-84.

[30] – يواقيم رزق، المصدر السابق، ص 176.

[31] – ديفيد لفنجستون David Livingstone: مستكشف جغرافي معروف (1813- 1873) اسكتلندي من رواد العمل الطبي الارسالي والاستكشاف في افريقيا قام بثلاث رحلات الى شرق افريقيا (1841- 1856م) ، والثانية (1858- 1864م) والثالثة (1866- 1873م) اكتشف في الاولى أجزاء من نهر الزمبيزي وفي الثانية أكمل كشف نهر شيري ووصل ساحل نياسا، وفي الثالثة التي كانت بتكليف من الجمعية الملكية بلندن أكتشف أنهار وسط أفريقيا وبحيراتها، وقد التقى بتيبوتيب في رحلته الأخيرة التي توفي خلالها. أنظر: يواقيم رزق ، المصدر السابق، ص8-9.

[32] – سعيد بن علي المغيري، المصدر السابق، ص 54-54

، تمثلت في نظام معتاد الهجوم وإخضاع الخصوم، فأنه تحلى بصفات رجل الدولة، الذي تزايد تأثير الى حد استحال النيل منه على الاطلاق تقريبا. ففي عدة مناسبات كان الزعماء المحليون للقبائل المجاورة يتحدون ضدة، تدفعهم قسوته للقيام بهجوم مشترك عليه، لكن تيبو تيب كان يقود أعداءه في كل مرة الى سحق قواتهم وقراهم تماماً. وبهذا انتشر الفزع من اسمه الى حد ان العديد من الزعماء قدموا مدخراتهم من العاج اليه طوعا، قاصدين بتلك الوسائل من الرشاوي ان يضمنوا السلامة من غاراته. وعلى الرغم من ان تيبو تيب قدر هداياهم، فإنه لم يتأثر بها، واستمر في استنزاف المقاطعة من انفس منتجاتها[33].

خاض تيبو تيب معارك كثيرة في البر الافريقي برزت من خلالها سياسته القتالية وخططه الاستراتيجية في الهجوم والدفاع محققا عدد كبير من الانتصارات على الرغم من انه لم يدخل مدرسة حربية[34]، فقام بتجهيز 100الف من المقاتلين كان يطعمهم ويكسيهم ويسلحهم من ارباح تجارته، التي كان يقوم بها حيث ان ارباحه كانت كبيرة يضاف الى ذلك رخص العبيد[35]، ومتابعة الاهالي لتيبوتيب من اجل الغنائم عند انكسار العدو[36].

وفي عام 1869 م وبعد ان جمع تيبو تيب جيش من الزنوج من التجارة التي كان يقوم بها وصل من خلال رحلة الرابعة إلى الكونغو، في آخر عهد السيد ماجد بن سعيد سلطان زنجبار[37]، وتحرك قاطعا البراري بين همجية الزنوج وانياب الضواري يتلقى الاهوال مرة بالعطايا وتارة بالسيف من اوجيجي عبر بحيرة تنجانيقا لضم المناطق الواقعة بين فرعي نهر الكونغو لوماهي و لولابا وبالتحديد في مقاطعة اوتيرا Utera [38]. وعند شواطئ نهر الكونغو حدث صراع بينه وبين سلطان قبيلة السامو التي كانت تسكن خلف بحيرة تنجانيقا ، خسر تيبو تيب في هذه المعركة واستولى السامو على قواربه وجزء من امواله، لكن هذا لم يغير من عزيمته ولم تتغير خطته فنظم صفوفه وساندة محمد بن خلفان البرواني[39]، فأشتبك مع السلطان الزنجي فدارة معركة شرسة استغرقت عدة اشهر تمكن فيها تيبو تيب من الحاق الهزيمة بالسامو مما عزز نفوذه في تلك المنطقة[40].

---

[33] – سيدني لانجفورد هايند، المصدر السابق، ص15.

[34]– ناصر بن عبد الله الريامي، المصدر السابق، ص142–146.

[35] – في ذلك الزمان كان ثمن الخادم الواحدة قرشا وثمن الخدام الذكور ستة أنفار بقرش والقرش ثمن شيء من الخرز، والثوب الذي قيمته فرنك في زنجبار كان يباع في داخل افريقيا في ذلك الزمان بألف رطل من الأرز يطعم به تيبو تيب جنوده. انظر: ناصر بن سليمان اللمكي، المصدر السابق. ص580،581.

[36] – جرجي زيدان ، المصدر السابق، ص171.

[37] – محمد المحروقي، المصدر السابق، ص104.

[38] – صادف تيبوتيب وجود شخصيات عُمانية سابقة في الكونغو أنه وجود عُمانيين سبقوه إلى وسط البر الأفريقي، حيث قال في سيرته الذاتية: خلف بحيرة Samu تنجانيقا قررت المسير إلى إيتاوا Itawa ، حيث تسكن قبيلة السامو واصلنا المسير... وجدنا أحد المعمرين العرب واسمه عمر بن سعيد الشقصي الذي قال ناصحاً لنا لا تذهبوا إلى أرض السامو، فمنذ أعوام بعيدة ذهبت هناك برفقة محمد بن صالح النبهاني وحبيب بن حمد المعمري وآخرين من العرب والأتباع من سكّان الساحل، لقد هوجمنا ونهبت بضاعتنا، بل إن بعضنا قد قُتل لم نأخذ بنصيحته... بلغنا صباح اليوم التالي مشارف قرية السامو. انظر: محمد المحروقي، المصدر السابق، ص47.

[39] – محمد بن خلفان البرواني الملقب بـــ (روماليزا): ومعناه الباقي، ويُعد من أوائل وأبرز التجار العُمانيين الذين استقروا في منطقة يوجيجي الواقعة على حدود الكونغو وقرب بحيرة تنجانيقا، وصارت له تجارة كبيرة، واستطاع تكوين زعامة عربية عُمانية في تلك المنطقة، وكان هو وتيبوتيب أصحاب شراكة قوية في التجارة بوسط أفريقيا، واستقر البرواني في منطقة الوجيجي وبسط نفوذه هناك، فيما واصل المرجبي تقدّمه إلى الكونغو.انظر: سعيد بن علي المغيري، المصدر السابق، ص 323، 334.

[40] – جرجي زيدان ، المصدر السابق، ص170، 171.

وبعد مرور سنوات عدة، راكم خلالها ثروة عظيمة وتأثيراً مطلقاً، فتقدم حتى كاسنجو. وهناك واعترافاً بموقعة كأكثر العرب قوة في الداخل انتخب حاكماً[41]، فخلد فترة فيها يلتقط انفاسه ويرتب اوضاعه، فاتخذ من مدينة كاسنجو عاصمة له وشاد بها دارا للحكم وعين ابنه سيف بن حمد المرجبي نائبا له وأخوه لأمه محمد بن مسعود الوردي، وصديقه الخاص التاجر محمد بن سعيد المرجبي الملقّب بـ بوانا سيجي، كحكّام وولاة ينوبون عنه في الحكم والإدارة في المناطق التابعة له في الكونغو، لا سيما في أوتيتيرا، ونيانجوي، وماريرا . وقلد راشد بن محمد إمارة الجيش ،وقسم قواته وولى عليهم قواده ووجه كل فرقة منها الى جهة معينة لفتحها، واحتفظ لنفسه بفرقة ليقاتل بها قبائل نيام نيام ، وبدأت الكونغو العربية تأخذ شكل الدولة شيئا فشيئا وبخاصة بعد أن هاجرت إليها قبائل عربية أو جماعات كثيرة منها [42].

وعندما استقر تيبوتيب في الكونغو في مدينتي أوتيتيرا Utetera وكاسونغو Kasongo في آخر عهد السلطان السيد ماجد بن سعيد التقى بشخصيات أخرى عُمانية في مدينة أوتيتيرا Utetera بالكونغو، وهم سعيد بن حبيب العفيفي وعبد الله بن سالم الخضوري مع رجالهم وأتباعهم، وفرحوا فرحاً شديداً بذلك اللقاء، واتفقوا على رفع علم زنجبار الأحمر وهذه أول منطقة يقام فيها أول حكم عربي في الكونغو في تلك المناطق الأفريقية، وكان ذلك بعد ثلاث سنوات من رحلته الثالثة؛ أي تقريباً في عام 1872م، حيث ذكر تيبوتيب أن نبأ وفاة السيد ماجد وتنصيب السيد برغش[43] لم يكن قد وصله[44].

ثم بدأ بتدعيم الهيمنة الاقتصادية عن طريق وضع خطة لجعل القبائل الأفريقية تمتهن الزراعة وشق عدد من الطرق الداخلية لربط المناطق الخاضعة له مع بعضها، وتعيين عدد من الوكلاء والذين كانت مهمتهم جمع الضرائب والإشراف على الجانب الأمني وقد اعتمد في هذا المجال كثيراً على ابنه سيف الذي تولى إدارة نشاطات أبيه الاقتصادية، وكان عدم وجود تنظيمات قبلية متماسكة في تلك المناطق قد ساعده في فرض هيمنته عليها [45].

والجدير بالذكر أن من بين العوامل التي ساعدت على تقدّم تيبوتيب في داخل الأدغال والغابات بالبر الأفريقي هو إجادته لبعض اللغات واللهجات الأفريقية، التي سهّلت له التعامل والتفاهم مع الأفارقة. وقد قام سلطانا زنجبار السيد ماجد بن سعيد والسيد برغش بن سعيد بتشجيعه بشتى الطرق، وكان تيبوتيب في المقابل يقوم بمدّ نفوذ سلطنة زنجبار ومتابعة شؤون رعايا السلطنة العُمانية في الداخل الأفريقي[46]

قوة نفوذ تيبوتيب في مدن البحيرات بالكونغو واستتب الأمن في فيها، وفي نيانجوي والتي وصلها سنة 1874، التقى كاميرون[47] الذي عرف عن تيبو تيب العظيم من خلال ليفنجستون. فرافقه كاميرون حتى لولابا وذهب بعيداً حتى يوتوتيرا، وزوده بعدد كاف من المرافقين لتمكينه من مواصلة رحلته[48].

---

41 – سيدني لانجفورد هايند، نفس المصدر، ص16.

42 – جرجي زيدان ، المصدر السابق ص170، 171.

43 – السيد برغش بن سعيد بن سلطان البوسعيدي: ولد 1837م تولى الحكم 1870م وتوفى 1888م بالباخرة عند عودة من عُمان في رحلة استشفاء ودفن في زنجبار بجوار ابية واخويه خالد وماجد. سعيد بن علي المغيري، المصدر السابق، ص 226- 234.

44 – محمد المحروقي، المصدر السابق، ص104.

45 – عدنان مراد، المصدر السابق ، ص ٤٣٢.

46 – موسى البوسعيدي، المصدر السابق، ص392.

47 – فيرني لوفيت كاميرون ضابط من البحرية البريطانية تم تكليفه من قبل الجمعية الملكية الجغرافية بالاتصال بلفينغستون وقد انطلق في رحلته الى داخل افريقيا من باغمايو في ١٥ آذار 1873م. انظر: أحمد محمد طنش، حمد تيبوتيب و دوره السياسي في وسط إفريقيا، مجلة القادسية في الأداة و العلوم التربوية، مجلد 8 ، 2008 ، ص114.

48 – سيدني لانجفورد هايند، نفس المصدر، ص16.

وفي عام 1876م التقى تيبو تيب بستانلي Henry M. Stanley [49] الذي كان متجهاً صوب بحيرة تنجانيقا في طريقة لاكتشاف نهر اللوالابا والذي يبعد حوالي ١٥٠٠ كم عن المحيط الأطلسي ، والبحث عن ليفنجستون، وكشف ما تبقى من مناطق أواسط أفريقيا، وقد عرف عن هذا المستكشف الصليبي قسوة، وغطرسة، ودموية، ووحشية. كما وسبق ان قام بجولات في المنطقة وكانت له نفوذ واسعة في منطقة أعالي الكونغو[50].

وبصعوبة بالغة تمكن ستانلي من إقناع تيبو تيب والكثيرين من اتباعه، بمرافقته في جزء من رحلته. وتضمن الاتفاق بينهم ان يقوم تيبو تيب ضمن شروط معينة وضعها بنفسه. بمهمة الحراسة لمسافة ستين معسكراً، على ان يتسلم لقاء خدمته مبلغ 5000 دولار[51]. رغم تأكيد تيبو تيب لأقربائه الذين نصحوه بعدم مرافقته لستانلي كونه اوربي متعجرف، ونصراني كافر، انه لم يرافقة من اجل المال، بل من اجل المعرفة[52].

وفي السادس من نوفمبر سنة 1876م دخلت القافلة غابات الكونغو الضخمة الكثيفة المظلمة ذات الأرض الطينية الرطبة، وفي مقدمتها فرقة الفؤوس لافساح الطريق، قسم ستانلي القوة التي معه الى قسمين، قسم يسير بجوار شاطئ النهر يرأسها تيبوتيب ، والاخر يسير في النهر مستخدم القوارب يرأسها ستانلي ، ولاقت الحملة الكثير من المتاعب، بسبب انتشار الامراض بين رجالها، وبسب شدة ضحالة المياه. لكن الحملة وصلت الى منطقة عرفت فيما بعد باسم شلالات ستانلي واجتازتها، كما وصل الى المدينة التي اطلق عليها فيما بعد اسم ستانلي بول ووصل الذين بقوا على قيد الحياة من افراد الحملة الى الادغال الواقعة غرب مصب الكونغو عند مدينة بورما ثم عادوا عن طريق راس الرجاء الصالح الى زنجبار ومنها عاد ستانلي الى انجلترا [53].

وترك تيبو تيب ستانلي عند التقاء نهر كاسوكو Kasuku بنهر الكونغو، بعد ان أمدة بالكثير من المرشدين من اتباعه، رغم رفض هؤلاء مرافقة ستانلي وقالوا لتيبو تيب " انت من نحترم ونهاب، أما هذا الاوربي فحقير، يحسب حساب كل شئ، لا يعطينا ملابس ولم يعرض لنا قماشة واحدة" فأخبرهم تيبو تيب ان يتركوا الامر له وأقنع ستانلي بأعطائهم كل ما يردون. فكان لتيبو تيب الفضل الكبير في نجاح مهمة ستانلي ، رغم ان ستانلي لم يعطيه من الـ 5000 دولار سوى 3000دولار[54].

ومن هذه النقطة اتخذ تيبوتيب مساره مجتازاً البلاد مهاجماً كل من يعترض طريقة حيثما يمر الى أوجيجي، حيث توقف قبل ان يواصل رحلته نحو زنجبار. وهناك وفي تابورا وسع من نطاق تعرفه على الرحالة الاوربيين بمقابلة المستكشف فيسمن. اسس أتباع مخلصين، تمثلت مهمتهم في تسلم بضائعة وإعادة توجيهها، والمحافظة على الطريق مفتوح، بعد ان تمكن من إقامة سلام بين المستوطنين العرب في أوجيجي وميرامبو Mirambo زعيم أجوا الذي كان معادي للعرب في تابورا، والذي قام بسد الطريق التجاري ولسنوات[55].

---

[49] – هنري مورثون استانلي(1841– 1904) ولد في ويلز وفي سن الثامنة عشر ذهب إلى امريكا وتعلم هناك. وعمل صحفياً في صحيفة Herald New York ، ولكن كان يهوى الظهور حتى وإن قتلته تلك الأمنية. فاراد أن يقوم بعمل يخلد ذكراه برحلة للبحث عن المستكشف لفنجستون في افريقيا 1866م وأعقبها بأخرى سنة 1874م للطواف حول فكتوريا وتنجانيقا وغيرها وفي سنة 1876 دخل نيانجوي حيث التقى بتيبوتيب ، واكتشف بمساعدته أجزاء من اللوالايا. انظر: يوقايم رزق ، المصدر السابق، ص12–13.

[50] – شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٩٧،ص35.

[51] – سيدني لانجفورد هايند، نفس المصدر، ص16،17

[52] – محمد المحروقي، المصدر السابق، ص112.

[53] – زاهر رياض، استعمار افريقية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص124،125.

[54] – محمد المحروقي، المصدر السابق، ص 117، 122.

[55] – سيدني لانجفورد هايند، نفس المصدر، ص17.

وقد مكن هذا الانجاز تيبو تيب من الحصول على عطف كل من السلطان والقنصل البريطاني العام جون كيرك J. Kirk بعد عودته إلى زنجبار في تشرين الثاني ١٨٨٢؛ وقد عرض عليه في زنجبار ان يكون والي على تابورا لكنه رفض باعتبار ان سلطتي في الداخل الافريقي هي مانيما وهي اكبر من تابورا وأرض السكوما Sukuma النياموزي، وفي ضوء موافقتمها أقام لفترة مطولة في الجزيرة. مستفيدا من تلك الاقامة في استثمار قدر كبير من ثروته في الاسلحة النارية والبارود . وكان السيد برغش بن سعيد مشجّعاً وداعماً له في تثبيت النفوذ العُماني بالكونغو وما حولها؛ إذ أهداه ألفي رطل من البارود، وبدأ رحلت العودة للداخل الافريقي بالمرور في مدينة يوجيجي لجمع الأموال بتجارة العاج وشراء ما يلزمه، ثم قطع بحيرة تنجانيقا، ووصل إلى مقاطعة أوتيتيرا Utetera، وواجه هناك المصاعب بسبب قبائل الزنوج المعادية، والوحوش المفترسة، واستطاع التغلب على تلك المصاعب، حتى وصل نهر الكونغو حيث مدينة شلالات ستانلي Stanly Falls الواقعة شمال شرقي مدينة كاسونغو Kasongo واستقر فيها مدة للتجارة والراحة [56].

أصبح تيبوتيب خلال الفترة منذ عام 1869 م وحتى عام 1888 م يتمتع بسلطات سياسية وزعامة كبيرة في كافة مناطق حوض الكونغو، من فرض الضرائب وتعيين الولاة والحكام، وتمكّن من تأمين نفوذ سلطان زنجبار السياسي والاقتصادي في تلك المناطق، مما استقطب مزيداً من الانتشار العربي الإسلامي في مدينة نيانجوي Nyangwe ومدينة كسينجانيKsingani ثاني أكبر مدن الكونغو، فضلاً عن انتشارهم في أودية أنهار الكونغو، والمنطقة الواقعة بين نهري أرويمي، ولومامي، وفي مناطق بامبويا، ومنطقة شلالات ستانلي الشمالية، وحول بحيرة ألبرت، خصوصا بعد انت اتخذ من مدينة كاسونغو Kasongo عاصمة لحكمه، حتى وصف بأنه " الملك غير المتوج للكونغو"[57].

وبعد ان كون دولة عربية في هذه المناطق، كانت عاصمتها كاسونجو وضل يحكمها حتى سنة 1890م، وخلفة ابنه سيف عليها، ذكر بعض المؤرخين أن هذه العاصمة بلغت درجة كبيرة من التقدم و كانت بها قصور مؤثثة بأفخر أنواع الأثاث، كما كانت بها المساجد و المدارس العربية يتعلم فيها الطلاب القرأن الكريم وبعض علوم الدين و الحساب و كانت هذه العاصمة على اتصال بزنجبار بالطريق المباشر عبر اوجيجي و كذلك بطرق أخرى[58] .

وبفضل نفوذ تيبوتيب صار للعرب تجمعات تجارية قوية، واستطاعوا أن يكونا زعامات قيادية، وتكوين جيش استطاعا به التغلب على جيش الملك الأوغندي موانغا Mwanga الذي هرب إلى سيشل، وذلك عام 1888 م، وتمكن تيبوتيب من تنصيب الملك Kiwawa كيواو بدلاً عن أخيه موانغا، على عرش مملكة أوغندا، [59].

كما استطاع تيبوتيب أن يؤسس لنفسه نفوذاً تجارياً في المناطق الواقعة شرق الكونغو، وهي رواندا، وبوروندي، حيث يذكر عن نفسه أنه قام ببناء منزل له في رواند[60].

وأسهم تيبو تيب في وصول وانتشار الإسلام في مدن البحيرات العظمي بوسط أفريقيا؛ إذ كان له الدور البارز في نشر الإسلام ومعالمه الحضارية والثقافية؛ على الرغم من ان فتوحاته لم تكن لهذا الغرض، الا ان اخلاقياته الاسلامية كانت الركيزة الاساسية في انتشار الاسلام ، فكلما بسط نفوذة على منطقة من المناطق قضى على عادة اكل لحوم البشر المنتشرة بين الجماعات الافريقية البدائية، ومارس شعائر الاسلام جهارا في المساجد التي بناها لدفع الزنوج لأعتناق الدين الاسلامي، مما حدى بجموع كبيرة

---

[56] – محمد المحروقي، المصدر السابق، ص120–132.

[57] – موسى البوسعيدي، المصدر السابق، ص396.

[58] – كريمة مزوزية ، نفس المصدر،ص55.

[59] – سعيد بن علي المغيري، المصدر السابق، ص324.

[60] – موسى البوسعيدي، المصدر السابق، ص396

من الافارقة يقتنعون به وبمنهجه في الحياة ، ليس لبأسه أو لشخصيته القيادية القوية فحسب بل ولسمو أخلاقه وشهامته في حماية من يلوذ به، ولروح السماحة التي عرف بها رغم شدة بأسه فقد كان مسالما ومتسامحا في آن واحد[61]

ومن الجدير بالذكر أن العرب المسلمين العُمانيين وغيرهم من التجار لم يعيشوا في عزلة، بل دخلوا في علاقات مع شعب الكونغو وانسجموا مع الأهالي، وقد أفرز ذلك الترابط ظهور آثار عمرانية إسلامية واجتماعية، من بناء المساجد، والبيوت العالية، بالإضافة إلى المعالم الثقافية والحضارية، من التطوير السياسي والإداري والتجاري، حيث قاموا بتنظيم طرق التجارة، وإقامة المزارع، وتنظيم الأيدي العاملة من الأفارقة؛ حيث إن نجاح التجارة العربية بين شعب الكونغو جاء نتيجة تميّز أولئك العُمانيين بالصدق والأمانة، والتسامح الإسلامي في العلاقة والاندماج، التي برز شأنها عند استقرار تيبوتيب في الكونغو[62].

هذا إلى جانب قيام تيبو تيب والتجار العرب العُمانيين بإحداث ثورة اقتصادية جليّة في الكونغو، فأدخلوا زراعات جديدة من المحاصيل وبتنظيمات معينة حددوا فيها مواعيد الزراعة والحصاد لكل صنف، والتي ساعدت على الرخاء والازدهار والاستقرار للسكان الأفارقة، الذين أسلم كثير منهم على أيدي أولئك العرب، وانتقل الكثير من العرب إلى الكونغو، وكثر التردد التجاري بين الكونغو وطرق القوافل، وإلى الساحل الشرقي، وتنوعت السلع التجارية الجديدة، التي أدخلها التجار العُمانيون لأول مرة إلى تلك المناطق، من الثياب، والسجاد، والخرز ، والقطن، والتمور ، والملح، والمجوهرات، وغيره من السلع المهمة والجديدة؛ كالسلاسل والرصاص والبارود والزجاج، والتي كان التجار يبادلونها بالعاج وغيرها من السلع الداخلية الأفريقية[63].

كما إنشأ تبوتيب العديد من المدن العربية الاسلامية في الكونغو مثل كاسونجوي التي استقر فيها، واستقطب معه كثيراً من أصدقائه التجار ، وأقاربه العُمانيين، وجعلها عاصمة له في الكونغو ، وأوتيتيرا التي قصدها بعد وصوله إلى كاسونغو، فكان استقراره بها مدة ثلاث سنوات ، وماريرا وهي أحد المراكز التجارية للتجار العُمانيين، وقد جعل فيها تيبوتيب نائباً عنه وهو صديقه التاجر محمد بن سعيد المرجبي الملقّب بوانا سيجي لأجل إدارة شؤونها، ورعاية أحوال سكانها، الذين سعدوا به لتعامله الطيب معهم، ومانيما التي تقع شرق الكونغو، وكانت وأحد المراكز التجارية التابعة لتيبوتيب، والتي كان يعدّها امتداً لنفوذه، وتحت لواء السيد برغش سلطان زنجبار [64].

الصراع مع البلجيك

منذ القرن التاسع عشر وضعت قوى الغرب مخططها احتلال قارة افريقيا، وتقسيمها فيما بينها بوسائل متعددة كالكشف، والتبشير ، والشركات، والمعاهدات. ومن وراء كل هذا قوة السلاح[65].

وتعود العلاقات بين منظمي القوى المتصارعة – دولة الكونغو الحرة والدولة العربية المستقلة في كاسنجو الى اللقاء الذي تم بين تيبو تيب و ستانلي عام 1876م في نانجوي[66]. حيث كان ستانلي قد ارسل قبل وصولة لأنجلترا بعض مذكراته للصحيفة التي يعمل بها، كما نشر فيما بعد تفصيلات رحلاته، ونشر مشاهداته عن ذلك في مجلدين، بين من خلال ما كتب الثروات الضخمة بالمنطقة من نخيل والزيت والاخشاب والمطاط وغيرها أسالت لعاب الاوربيين وادت لتطاحن الدول الاستعمارية على المنطقة وكانت

61– ناصر بن عبد الله الريامي، المصدر السابق، ص145.

62 – موسى البوسعيدي، المصدر السابق، ص398

63 – موسى البوسعيدي، المصدر السابق، ص399

64 – موسى البوسعيدي، المصدر السابق، ص401،400.

65 – عبده بدوي، شخصيات أفريقيا، دار الوفاء للمطبوعات، القاهرة، د.ت، ص9.

66 – سيدني لانجفورد هايند، نفس المصدر، ص16.

بلجيكا وفرنسا ثم انجلترا في مقدمة هذه الدول[67].فاسرع الملك ليبولد الثاني بتأسيس جمعية الكونغو الدولية في 25 تشرين الثاني 1878. ودعا ستانلي لحضور اجتماعات الجمعية، فأصبح ستانلي يمثلها، وفي الرحلة الأولى الى الكونغو لم تثير أنظار احد ما دام الكشف هو الهدف لها، ولكن ما ان ذهب في الرحلة الثانية وبدأ يعقد المعاهدات ويؤسس المراكز. حتى بدأ الهدف هو الاستعمار والاستثمار[68].

عند عودة ستانلي الثانية إلى القارة الأفريقية باسم ليبوبولد الثاني ملك بلجيكا، ومؤسس جمعية الكونغو الدولية ، سنة 1878م، حظي باستقبال من قبل السلطان برغش بن سعيد، والذي أمده بقوة عسكرية لحمايته أثناء رحلاته داخل القارة، كما حظي بالمساعدات من قبل تيبو تيب في الكونغو. وعندما استشعر السلطان برغش، بأن ليبوبولد الثاني ملك بلجيكا، يسعى لإقامة مستعمرة بلجيكية في حوض نهر الكونغو، تحت ستار جمعية الكونغو الدولية، واستخدم المستكشف ستانلي وكيلا لها في أفريقيا، بعد ان نشط هذا الأخير في عقد معاهدات حماية مع السلاطين المحليين في الكونغو وفي تأسيس المراكز التجارية البلجيكية على نهر الكنغو وفروعه[69].

أوعز السلطان لتيبو تيب نائبه على الكونغو، بتعزيز نفوذ السلطنة هناك. فيقول تيبوتيب" لم تنقطع رسائل السيد برغش إلي يريدني أن ألاحظ كل ألأمور هنا فقلت له: إذا كنت تريدني أن اهتم بالامور هنا فأرسل إلي الرجال والذخيرة، ودون هذا يستحيل علي عمل أي شيء[70].

فصمم التجار العرب في المنطقة الممتدة بين بحيرة تنجانيقا وشلالات ستانلي، وعلى رأسهم تيبوتيب على معارضة تنفيذ هذه القرارات لا سيما بعزم الجمعية على مقاومة تجارة الرقيق. وبدأوا بالهجوم على الجمعية عند مساقط ستانلي، وكان من الواضح أن نزاعاً سينشأ بشأن السيادة على المنطقة[71].

كان الصدام بين العرب والأوربيين حتمي، بعد ان سعى الاوربيون انتزاع الهيمنة من العرب في أفريقيا الوسطى بكاملها. وبدأ واضحاً أن تلاشي إحدى القوتين هو المخرج الوحيد لحل المشكلة[72].بعد ان اصبحت وبعد فترة قصيرة تلك الرقعة الكبيرة التي تمتد من الساحل الأفريقي الشرقي إلى حوض نهر الكونغو الأعلى خاضعة لتيبو تيب، خشي العالم الغربي قيام دولة عربية في قلب القارة، فعمل على حصارها، والتدخل في شئونها[73].

وفي هذه الفترة أنعقد مؤتمر برلين 1885/1884 للوصول لقواعد عامة تلتزم بها الدول الاوربية في نشاطها الاستعماري في افريقيا حتى لا تصطدم بعضها بالبعض الاخر وكانت هذه هي الشرارة التي اشعلت حدة الاستعمار الاوربي في افريقيا[74].وكان انفضاض المؤتمر بعد التصديق على قراراته بمثابة، إعلان قيام دولة الكونغو الحرة، دولة افريقيا ذات سيادة يرأسها الملك البلجيكي

---

67 – شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، نفس المصدر،ص36

68 – زاهر رياض، المصدر السابق، ص144.

69 – احمد الظرافي، نهاية النفوذ العماني في شرق افريقيا، جريدة البيان، 2019/4/30 http://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=663

70 – محمد المحروقي، المصدر السابق، ص 155.

71 – زاهر رياض، المصدر السابق، ص146.

72 – سيدني لانجفورد هايند، نفس المصدر، ص9.

73 – عبده بدوي، المصدر السابق، ص11.

74 – شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، نفس المصدر،ص36

ليوبولد الثاني Leopold II ولها علم خاص هو قطعة من القماش الازرق في وسطها نجمة ذهبية[75]. فكلف ليوبولد الثاني الرحالة ستانلي بالعمل على جمع التوقيعات من الزعماء المحليين لقيام مملكة له في هذه المنطقة، وليتكئ على هذه المعاهدات حينما تنافسه دول أخرى[76].

وبعد وصول تيبوتيب الى زنجبار التقى بستانلي الذي عرض عليه ان يكون والي على منطقة البلجيك وان يرفع رجاله في هذه المنطقة العلم البلجيكي، فلم تكن الجمعية في موقف يسمح لها بالحرب فهي لاتملك سوى الاعتراف بالأمر الواقع، ورضيت بالاعتراف بتيبو تيب كحاكم لهذه الدولة، بعد ان اعتبرته ممثلاً لملك البلجيك ليوبلد الثاني، ودفعت له مرتباً قدرة ستون جنيهاً. على ان يعمل لاستتباب الامن في هذه الجهات وان يسمح بإقامة ممثل للسلطات البلجيكية في بلاطه[77]. لكنه رفض الا بعد مشاورة السلطان برغش الذي طلب منه الموافقة في كل ما يردونه. وعندما شكى له تيبوتيب ضعف الراتب الذي قرروه له، طلب منه السلطان برغ ش الموافقة حتى لو كان المبلغ أقل من عشرة جنيهات في الشهر[78]. لان السلطان كانت لديه مخاوف أن يؤدي نشاط ستانلي إلى تحويل التجارة في أواسط أفريقيا، من الساحل الشرقي، الواقع تحت سلطته، إلى الساحل الغربي الواقع تحت سيطرة ملك بلجيكا[79].

ولابد من الاشارة ان تيبو تيب لم يكن يملك خيار الرفض خصوصاً أن الهيمنة الأوربية بعامة والبريطانية بخاصة كانت واضحة على السلطان برغش والذي بدوره لم يكن يمتلك القدرة الكافية على الوقوف بوجه تلك الهيمنة ، خصوصاً ان الانكليز تعهدوا بمساعدة البلجيك، فأخبره قنصلها بما تم عليه الاتفاق وأن البلجيك سيدخلون الكونغو ونصحه بعدم معارضتهم، والا سوف يمنعوه من السفر مرة اخرى الى الكونغو، وانه سيكون كسابق أمره مطلق الحرية[80]. رضي تيبو تيب بالأمر الواقع نتيجة ضعف موقفه ولتغلغل الاستعمار الاوربي في شرق إفريقيا، وأنتهز الفرصة في الحصول على ما يحتاج إليه من الاسلحة دون اعتراض من ممثلي دولة الكونغو الحرة، كما ان النجاح الذي حققه تيبو تيب كان حافزا لقبائل عدة لإعلان انضمامها تحت زعامته[81].

تعرض البلجيكيون لمقاومة عنيفة أثناء محاولتهم التوسع في الأراضي التابعة لتيبوتيب من قبل العرب والأفارقة على حداً سواء، الذين اخرجوا جميع الاوربيين من تلك البلاد فلم يبقى بها بلجيكي ولا الماني فشق هذا الخبر على الانكليز، وطلبوا من تيبو تيب أن يعجل بالسفر الى الكونغو ومعه المعتمدان الانكليزي والبلجيكي فسافروا في 1887م في باخرة عن طريق راس الرجاء الصالح فوصلوا الى مدينة الكاب على المحيط الاطلسي ومنهى الى بانا عند مصب نهر الكونغو ثم سارت الباخرة في النهر وبعد ان وصل الى الكونغو ، وجد ان ابنه سيف قبض على قنصل بلجيكا الذي طلب أن يأتيه بجميع العاج الموجود هناك ليكتب عليه اسم الدولة

---

75 – لم يسع ملك البلجيك ليبولد الثاني الى إنشاء دولة الكونغو الحرة لمجده الشخصي أو لمجد دولته، بقدر ما سعى إلى مصلحته الشخصية، ومنفعته المادية والمالية دون غيرها. زاهر رياض، المصدر السابق، ص144،143.

76 – عبده بدوي، المصدر السابق، ص11.

77 – زاهر رياض، المصدر السابق، ص144.

78 – محمد المحروقي، المصدر السابق، ص161.

79 – احمد الظرافي، نهاية النفوذ العماني في شرق افريقيا، جريدة البيان، 2019/4/30

http://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=663

80 – ناصر بن سليمان اللمكي، المصدر السابق. ص581،580.

81 – شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، نفس المصدر،ص156

البلجيكية، وأرسله إلى سردار الجيش راشد ين محمد، الذي حكم عليه بالضرب خمسن جلدة وحبس سنتين، ولولا وصول تيبو تيب في تلك الايام، فأوقف الحملة لنال البلجيكي جزء شديداً [82].

ومن الواضح أن تيبوتيب اتبع سياسة المهادنة لتفويت الفرصة علي الأوروبيين، ولكن هذا لم يجد نفعا مع مكر الانكليز والبلجيك وغاياتهم الاستعمارية. ولذلك لم تلبث أراضي سلطنة زنجبار العمانية، أن احتلت عام 1886، من قبل ثلاث قوى استعمارية، وهي ألمانيا، وانجلترا، وفرنسا، ولم تعد سلطنة زنجبار تتعدى جزيرة زنجبار، والتي انتقلت سنة 1890، من الوصاية البريطانية غير المباشرة، إلى الوصاية المباشرة " الاحتلال "، حيث جعل منها البريطانيون وكرا للمؤامرات والدسائس، وقاعدة لمواجهة المد الإسلامي في شرقي أفريقيا[83].

وهكذا وجدت ضمن حدود دولة الكونغو الحرة، كما رسمها مؤتمر برلين، مقاطعة كبيرة سمية بكاسنجو أو مانييما في خريطة أفريقيا، لم تمارس عليها حكومة الكونغو الحرة أي سيطرة، فيما عدا تيبوتيب أو واحد او اثنين من العرب ممن عينهم وكلاء ينوبون عنه في الحكم، محتفظين باتصال دائم مع زنجبار عبر الطريق البري خلال أوجيجي [84].

أسهم تيبوتيب في توطيد الوجود البلجيكي في إفريقيا وتكوين دولة الكونغو الحرة التابعة للملك البلجيكي ليوبولد الثاني Leopold II. وعندما شارفت مهمة على الإنجاز وأسس المدن التي تدين للبلجيكيين لفّقت ضده التهم بقتل رائد بلجيكي يدعى بارتلوت Major Barttelet، فاستدعي إلى زنجبار للتحقيق معه عام 1890م . وآنذاك نشب خلاف تجاري بينه وبين تاجر من أصل هندي يُدعى تاريا توبان Taria Topan. وقضى المرحلة الأخيرة من عمره مدافعًا عن نفسه في قضية تذهب المصادر إلى أنه لم يفعلها، وفي محاولة استعادة أمواله من قبضة التاجر الهندي، فضلاً عن الانتقادات التي تعرض لها من اهله وأصدقائه، الذين يعيبون عليه خدمته مصالح الاوربيين [85].

تعاون سيف بن تيبو تيب بعد رحيل والده لزنجبار مع عدد من الزعماء الأفارقة المحليين وقادة المقاومة العربية ضد الوجود البلجيكي انطلاقاً من كوسنغو ، بعد ان رأى ان البلجيك بدأوا من جانبها بتحصين محطاتهم ووضعت الضريبة على العاج الوارد. وقيام قوات دولة الكونغو الحرة بمضايقة التجار العرب في منطقة باسوكو، وتجريدهم من بضائعهم بحجة منع تجارة الرقيق[86].

وتحت قيادة سيف بن تيبوتيب شن العرب هجمات ضد الحاميات البلجيكية في منطقة كتنغا ، كما قامت مجموعات اخرى بمهاجمة ممثل دولة الكونغو الحرة في منطقة لومامي هودسيتر Hawdestir وكانت هذه العمليات تتم بالتنسيق بين سيف والزعيم الأفريقي جونجو لويتا حاكم منطقة نغاندو ، لكن الأخير تحول عن موقفه المساند للعرب بعد ان تعرض إلى الهزيمة من قوات دولة الكونغو الحرة في موناكيا لو وبالتالي استسلامه ودخوله في تحالف معهم متعهداً بالوقوف بوجه تطلعات سيف في إعادة بناء دولة

---

[82] – ناصر بن سليمان اللمكي،المصدر السابق ص580،581.

[83] – احمد الظرافي، نهاية النفوذ العماني في شرق افريقيا، جريدة البيان، 2019/4/30
http://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=663

[84] – سيدني لانجفورد هايند، نفس المصدر، ص23.

[85] – وزارة التراث والثقافة، المصدر السابق. ص 1152.

[86] – عبدالله عبد الرزاق، شوقي الجمل، المصدر السابق، ص ١٨

أبيه تيبو تيب في شرق الكونغو ،فضلاً عن قيامه بدعم دولة الكونغو الحرة بالمؤن والرجال[87].على الرغم من انه من مماليك تيبوتيب الذي رباه ودربه عسكرياً وجعله من اكبر اعوانه[88].

مكن هذا الاتفاق قوات دولة الكونغو الحرة من دخول مدينة كابندا والقضاء على الزعيم الأفريقي لوبنغو المساند لسيف، وكان سقوط كابندا بداية لسلسلة من الانتصارات التي حققتها قوات دولة الكونغو الحرة في وسط أفريقيا على حساب المقاومة التي يقودها سيف[89].

جدير بالذكر ان العرب في الكونغو رغم دعم سلطنة زنجبار العربية لهم الا انها لم تكن بنفس المستوى من القوة التي تملكها القوى الاستعمارية الاوربية، بالإضافة الى ما كانت تتعرض له السلطنة من عوامل الانهيار والتفكك من قبل القوى الاستعمارية ذاتها[90]. بينما حصلت القوات البلجيكية على دعم منقطع النظير من الجمعيات المسيحية التي تعارض تجارة الرقيق والساعية لنشر المسيحية في تلك المناطق والتي كانت على يقين ان ذلك لن يتم إلا بعد القضاء على النفوذ العربي في تلك الأصقاع. وقد استمرت المواجهات بين الجانبين حتى كانون الثاني ١٨٩٣م عندما أصيب سيف بعدة رصاصات أدت إلى مقتله خلال المواجهات التي دارت حول معسكر اوتيا تينغو التابع له والذي هاجمته قوات دولة الكونغو الحرة واستطاعت عندها القضاء على آخر معاقل العرب في وسط أفريقيا ليأخذ الأفارقة بعد ذلك على عاتقهم مقاومة الوجود الأوربي في المنطقة [91].

وبسقوط كوسنغو عاصمة الدولة العربية في ايدي البلجيكيون، الذين ذهلوا لما وجدوه من مظاهر الحضارة والتقدم بها[92]. تغيرت الخريطة السياسية للكونغو، إذ امتدت حدودها نحو الشرق ودخل في سيادتها ستون الف نسمة، وفتحت الطرق التي كانت تمتد من الساحل الشرقي حتى أوجيجي وبحيرة تنجانيقا الى المحيط الاطلسي. وكان من الطبيعي رفض بعض القبائل التي كانت خاضعة للدولة العربية الخضوع للدولة الجديدة كالباتلا، ولكنها هزمت، ومن رفض عبر الى الشرق[93].وهكذا انتهت دولة العرب في الكونغو وعادوا العرب منها بعد ان سلبت اراضيهم واموالهم وكانت نهاية امرهم ان عاش اغلبهم فقراء في زنجبار [94].

ظل الوضع في دولة الكونغو الحرة كما هو حتى عام 1908م. وفي هذا العام وافق البرلمان البلجيكي على انهاء دولة الكونغو الحرة وإعتبار الكونغو مستعمرة بلجيكية حكومية تتبع في ادارتها وزارة المستعمرات البلجيكية[95].

وتؤكد التقارير البلجيكية الرسمية أن كثيراً من الأنظمة التي اتبعتها الإدارة البلجيكية في الكونغو اعتمدت على التنظيمات السياسية التي أوجدها العرب، وأسهمت الثقافة الإسلامية التي نشرها العرب المسلمون في التأثير على اللغات الكونغولية، وكان تأثير اللغة السواحلية سائداً حتى خلال فترة سيطرة البلجيك وما بعدها، حتى كاد يتم تبنيها كلغة رسمية للبلاد، لولا ما أثارته الصحف

---

87 – أحمد محمد طنش، المصدر السابق ، ص 115 .

88 – جرجي زيدان ، المصدر السابق ، ص ص173.

89 – أحمد محمد طنش، المصدر السابق، ص 115.

90 – جمال زكريا قاسم ، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، المصدر السابق. ص 240

91 – أحمد محمد طنش، المصدر السابق، ص116،115.

92 – شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، المصدر السابق، ص157

93 – زاهر رياض، المصدر السابق، ص144.

94 – جرجي زيدان ، المصدر السابق، ص ص173.

95 – شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، المصدر السابق،ص159

والإذاعة الأوروبية من مناقشات حادة، رأى بعضهم من خلالها ضرورة تبنيها لغة رسمية، إلا أن المبشرين اعترضوا بسبب علاقتها بالعرب المسلمين وحقبتهم بالكونغو، و تم فرض اللغة الفرنسية لغة رسمية للكونغو[96].

واخيراً لم يتبقى لتيبوتيب من الثروة التي كسبها من تجارته الا الشيء القليل، بعد ان استولى البلجيك على امواله وتقدر بـ 100 الف جنيه، بعد ان استنزفه المحامين، من اجل ارجاع امواله وكان دائماً يقول " ذهب ربع ملكي في افواه المحامين"، وكان يتمثل دائما بقول الشاعر

ومن يفعل المعروف مع غير اهله يلاقي كما لاقى مجير ام عامر[97]..

وأصيب في أخريات حياته بمرض الاستسقاء ثم عوفي منه. لكن صحته بقيت ضعيفة، فاشتد به الألم حتى كانت الساعة الخامسة من ليلة الأربعاء 14 حزيران 1905م قبضه الله إليه. وما شاع الخبر حتى توافدت الجموع إلى منزله، فشارك في تشيعه عدد كبير من افراد العائلة المالكة في زنجبار وشيوخ واعيان العرب والقنصل الامريكي والقنصل الانجليزي والقنصل الالماني، وفئة التجار الهنود والأفارقه[98].

الخاتمة والنتائج

يعد تيبو تيب تاجرا للرقيق والعاج وبدأ نشاط التجاري في سن مبكر، لمع نجمه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد ان كوّن ثروة كبيرة من تجارته ، جعلت حاكمي زنجبار ماجد بن سعيد والسيد برغش بن سعيد يرتبطان به، ويستعينان به لتوطيد النفوذ العربي في المناطق الداخلية من شرق إفريقيا، في الوقت الذي كان يمارس فيه نفوذا سياسياً واقتصادياً في أعالى الكونغو بعد عام 1870م. كان حلقة جدا مهمة من حلقات الوجود العماني في شرق أفريقيا. ،.فقد عاش حياة مليئة بالمغامرة والتحدي والارتحال، عاش انتصارات وهزائم مخلفا في كل مكان يحل به إما أصدقاء يذكرونه وإما أعداء يتربصون به، ومهما يكن من أمر فهو رجل يتميز بالشخصية القيادية، والكريزما العالية، له حضوره في المواقف، وصفه الاوربيين بأنه كان مثلا للعربي النبيل الذي يظهر رقياً مميزا في حديثه ومظهره. وإذا كان تيبوتيب لم يتلق قدرا وافرا من العلم فإن تجاربه وخبراته ومعاناته واجتهاده جعلته إنسانا سويا قويا، حملته التجارة الى بلدان كثيرة مترامية الأطراف، فنراه يجوب الأدغال المظلمة في غير رهبة، ويخترق البحيرات الواسعة من غير خوف، ويجتاز المستنقعات دون كلل، وبمرور الوقت ألف كل ذلك واعتاد عليه واكتسب خبرة باستكشافه الأنهار والبلدان،

وتوفرت لهذه الشخصية الأسطورية عوامل عديدة صنعت رواجها وشهرتها ولعل من أهمها العامل التاريخي، ففي الفترة نفسها التي توطد فيها نفوذ تيبو تيب في داخل القارة الأفريقية انتقل الاهتمام الأوروبي بهذه القارة من مرحلة المعاهدات ذات الصبغة التجارية إلى أطماع سياسية للسيطرة المباشرة على الأرض والبشر، في ظل ضعف النفوذ السياسي العربي العماني في شرقي أفريقيا وخاصة بعد انقسام الإمبراطورية العمانية بين أبناء السيد سعيد بن سلطان. استغل الأوروبيين قوة تيبو تيب في التوغل في مجاهل غابات الكونغو الاستوائية، هذه المنطقة التي ظلت عصية عليهم لعدة قرون، وتحقيق مآربهم الاستعمارية، وتأسيس الوجود البلجيكي في قلب القارة الأفريقية أو لما سيسمى فيما بعد دولة الكونغو الحرة والتابعة للملك البلجيكي، ومن ثم فرض سيطرتهم على هذه الأقاليم، بعد ان سخروا نفوذ تيبوتيب هناك لخدمة الإرساليات التبشيرية، وحركة الاستكشافات الصليبية، في أفريقيا، والتي قادت الدول الأوروبية الاستعمارية، فيما بعد، إلى استعمار القارة، ونهب خيراتها، واستعباد وإبادة شعوبها، وتغريبهم، وفرض عقيدة التثليث عليهم، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على مدى التحكم الأوروبي على العرب آنذاك وغطرستهم و سياسة الحمقاء التي لا تراعي الأخلاق والآداب، في استغلال نفوذ تيبوتيب الذي لم يكن في يديه السلاح الذي يفل به سلاح أعدائه ومن هنا يمكن القول إن إمكاناته لم تكن تلائم عصره. كما أن عدم استقراره في مملكته التي فتحها وكونها وكان عليه أن يسهر عليها ويرقب حدودها لا أن

---

[96] – موسى البوسعيدي، المصدر السابق، ص398

[97] – جرجي زيدان ، المصدر السابق، ص173.

[98] – ناصر بن سليمان اللمكي،المصدر السابق ص580،581.

يتنقل بين الكونغو وزنجبار ويعمل بالتجارة ويلهيه الربح عن المحافظة علي دولته الناشئة، كان خطء جسيما ارتكبه ساهم في انقضاض الاوربيين على ملكه وسلبهم لأمواله وممتلكاته.

واخيرا وبالرغم من قصر الفترة التي قضاها تيبوتيب والعرب في الكونغو فإنهم تركوا أثرا ونهضوا بالمجتمع ، لأن الزنوج الذين لم يتعامل معهم أحد من قبل انتقلوا من الوحشية إلي التمدن، فكان العرب تلك الموجة الإنسانية التي اختلطت بهم، وصاهرتهم وتركت له لغة، ودينا، وحضارة وسماحة تسوي بين كل الناس. وهذا ما شهد به الاوربيون الذين استعمروا تلك البلاد فيما بعد.

مصادر البحث

1- احمد الظرافي، نهاية النفوذ العماني في شرق افريقيا، جريدة البيان، 2019/4/30 http://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=663

2- أحمد محمد طنش، حمد تيبوتيب و دوره السياسي في وسط إفريقيا، مجلة القادسية في الأداة و العلوم التربوية، مجلد 8 ، 2008 .

3- بيان سعود تركي، العرب العمانيون وتجارة العاج في شرق إفريقيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (1840-1890)، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد 120، جامعة الكويت،2012.

4- جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، ط3، مطبعة الهلال، مصر، د ت.

5- جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي 1507- 1840، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985.

6- جمال زكريا قاسم ، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، القاهرة، ١٩٧٥.

7- زاهر رياض، استعمار افريقية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م،

8- سعيد بن علي المغيري، جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصليبي، ط4،د.ن، 2001.

9- سيدني لانجفورد هايند، سقوط عرب الكونغو، ترجمة: احمد العبيدلي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، ابو ظبي، 2010.

10- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٩٧.

11- عبده بدوي، شخصيات أفريقيا، دار الوفاء للمطبوعات، القاهرة، د.ت.

12- عدنان مراد، المجتمعات الافريقية أصولها – تاريخها وشعوبه وثقافتها، القاهرة ١٩٩٥.

13- كريمة مزوزية ، زينب علاوة، المسألة الكونغولية في قرارات مؤتمر برلين الثاني(1884- 1885م)، رسالة ماجستير منشورة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة العربي التبسي ، الجزائر، 2017.

14- محمد المحروقي، مغامر عماني في أدغال أفريقيا، ط2، منشورات الجمل، بغداد، 2006.

15- موسى البوسعيدي، التأثير العُماني في دول وسط أفريقيا، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عُمان، العدد 58/57، مسقط، 2017.

16- ناصر بن سليمان اللمكي، اشهر الحوادث واعظم الرجال حمد بن محمد بن جمعة المرجبي، مجلة الهلال المصرية ، 1906.

17- ناصر بن عبد الله الريامي، زنجبار شخصيات واحداث(1828-1972)، ط2، مكتبة بيروت ، القاهرة، 2009.

18- وزارة التراث والثقافة، الموسوعة العمانية، المجلد الثالث، مسقط، 2013.

19- يواقيم رزق ، حميد بن محمد المرجبي (تيبو تيب) والوجود العربي في الكونغو، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 1975.